

**الفرقان**  
**في تفسير القرآن**  
**بالقرآن والسُّنة**



# الفرقان

في تفسير القرآن

بالقرآن والسنة

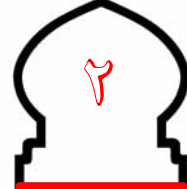
الجزء الرابع

تتمة سورة البقرة

سماحة الشيخ

الدكتور محمد الصادقي





تتمة

سُورَةُ الْبَقَرَةِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ

قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ  
 يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا  
 مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا  
 الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ  
 كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ  
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ  
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾  
 فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ  
 بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَلَائِكِ  
 ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ  
 ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ  
 دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ  
 شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ  
 وَلَٰكِن اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا  
 وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن  
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ  
 الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

بما أن القرآن دعوة للحياة الدائمة المتجددة عبر الأجيال، دون حياة  
 محدودة مغلقة في صفحة عابرة غابرة من التاريخ، لذلك نرى آياته البيئات



تلتقط لنا من ماضيها لحاضرنا ومستقبلنا فإن تاريخ الإنسان سلسلة موصولة متشابهة، فلندرس من كل غابر لحاضر، ولكي نكون كأننا عشنا الدهر كله بكل تجاربه، فنصبح على أهبة واستعداد للمضي في طريق الحياة الملتوية الشائكة الطويلة، عارفين كل هابط وصاعد، وكل قمة وسفوح، فنفلح بما ندرسه من غابر الزمن لحاضره، تحضيراً لتجارب التاريخ، فتحذراً عن مهاويه ومخازيه.

فالقصاص القرآنية تعرض لنا بهذه الوفرة والغزارة مهام الأحداث في تاريخ الأمم الغابرة لنكون على خبرة من أشباهها في العصور الحاضرة، وكثير منها هي من أحداث الأمة الإسرائيلية، بما علم الله أن أجيالاً من أمة الإسلام ستمر بالتي مرّ فيها بنو إسرائيل، وتقف من دينها وعقيدتها مواقف مشابهة بمواقفهم، فعرض علينا مغالق الطريق ومزالقها مصورةً في تاريخهم لتكون لنا عظة وعبرة، قبل الهبوط في تلك المزالق أو اللجاج فيها على مدار الطريق.

توجيهات وجيهات حية تنبض بكل مظاهر الحياة، مشيرة إلى معالم الطريق وعوالم الحريق.

ومن التجارب المعروضة هنا تجربة الفرار عن الموت، من ألوف خرجوا من ديارهم حذر الموت دون تعريف لهم، في عرض خاطف كخطف الحياة والموت:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾:

أترى ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا... ﴾ مثلٌ يمثل به هنا لموت التأخر عن شؤون الحياة ونشاطاتها، وحياة التقدم في شؤونها، لأن واقع الموت هنا والحياة بعدها مرة أخرى مما تحيله: ﴿ لَا يَدُوفُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ ﴾

الْأُولَى ﴿١﴾ و﴿أَمْتَنَا أُنْتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أُنْتَيْنِ﴾ ﴿٢﴾، وقد سميت حياة التقدم في مبتغياتها حياة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ﴿٣﴾ - ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ﴿٤﴾؟ ثم ولا تناسب الموت بالفرار عنه ثم الحياة آية القتال التالية؟.

و﴿الَّذِينَ خَرَجُوا...﴾ دون أداة التمثيل كما في سائر الأمثال القرآنية، لا تناسب المثل وإتيان الحياة بمعنى نضارتها في مجالات أخرى بقرائنها، ليس ليختصها بها في هذا المجال دون قرينة! والآيات المستشهد بها لا تحيل موتين وحياتين في الدنيا، وقد أثبتهما آيات عدة، وإنما هي عرض كضابطة للحياة الدنيا أنها واحدة يموت الأحياء عنها إلى البرزخ، فهي تقبل الاستثناء وكما استثنيت بآياتنا ونظائرها ك﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ... ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالَ لَبِئْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِئْتُمْ مَائَةً عَامٍ...﴾!.

وما تلك الطنطنة الغوغاء إلا من متفرنجين سموا أنفسهم مفسرين، ينكرون خوارق العادات، مؤولين لها - خلاف نصوصها القرآنية - بعاديات! خائضين في تيه التأويلات الباردة في آيات الله البينات ليحيدوا عنها خوارق العادات، وهي هي بنفسها في قمة الخوارق، وقد تحمل فيما حملت إنباءات عن خوارق أخرى في تاريخ الرسالات.

وليست الآيات المحيلة الرجوع إلى الحياة الدنيا للأموات ك: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ﴿٥﴾ إلا في الذين حظوا حظوهم من حياة التكليف قدر

(١) سورة الدخان، الآية: ٥٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ١١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.